

الحياة الإلكترونية للقصيدة

من الزّراعة إلى المصّناعة وصولاً إلى عصر المعلوماتيّة كانت الحضارة تصعد، وكان كلُّ عصر يترك أثره على الفنون فيضيف إليها ما يواكب هذا التّطوُّر، ويهزُّها برياح التّغيير، ومن بين هذه الفنون الشّعر.

فماذا صنعت الثورة المعلوماتيّة بالقصيدة؟

من سمات الثورة المعلوماتيّة التواصل الآنيّ، وسرعة الوصول، والتعلُّم الذّاتي، وتوفير الكلفة والوقت، إنّها سمات فتحت باب التّجريب على كلّ شيء، وحاولت أن تذلل كلّ شيء من خلال الوسائط العديدة، فلتكن التكنولوجيا إذًا متذلًا للقصيدة بدلًا من المشافهة والمتون الورقيّة، وبالتالي سيتلقّاها القارئ بشكل مباشر ومستمر.

الذين ينادون بالأدب التفاعلي ويعدّونه أمرًا حتميًّا، يبرّرون ذلك بغلبة الوسائط الإلكترونيّة على حياة إنسان اليوم، فلماذا لا تكون القصيدة ضمن هذه الوسائط بدلًا من بقائها في أروقة الجامعة ونومها في الدواوين؟

لماذا لا نجعل المتلقّي فاعلاً في الذّص عن طريق الكلمة والصوت والصورة والحركة المتاحة في هذه الوسائط، فيكون مشاركًا المؤلّف في صناعة القصيدة بالإضافة والتغيير؟

القصيدة عاشت ردحًا من الزّمن في الورق، تتفاعل معها عبر القراءة والنقد، ولكنّ هذا التّفاعل محدود النّطاق، غير أنّ التّفاعل في الفضاء الإلكتروني لا حدّ له، وله قابليّة الانفتاح على وسائل أخرى لا تتجاوب معها القصيدة الورقية، وهذا مبرّر آخر للاحتفاء بالأدب التفاعلي، وبالتالي يصبح الأمر ضرورة من أجل خلق حياة إلكترونية للقصيدة، والدخول إلى ما يسمّى بـ(الذّصّ

المتفرّع) حسب ترجمة د. حسام الخطيب لـ(Hypertexts)، ويعني هذا أنّ المصطلح وافد علينا من ثقافة أخرى، وإن كان له شواهد عربيّة تشابهه في عمليّة التفرّع كالشّجرات القديمة على المتون والحواشي، على حدّ تعبير د. الغدّامي، أو الشّعر الهندسي حسب د. فاطمة البريكي، لكنّها شواهد لا علاقة لها بالتكنولوجيا.

وبعدّ، لنا أن نسأل: هل يمكن للتكنولوجيا أن تصنع قصيدة؟

من البدهيّات أنّ القصيدة تتطلّب إحساسًا خالصًا ومعاناة وتجربة ذاتيّة، والتكنولوجيا فاقدة لهذا المعنى.

القصيدة التفاعليّة تحاول أن تجعل عمليّة الإبداع مشتركة في مساحة لا حدود لها، وبمزيد من التفرّعات غير المنتهية، بطرق لم تألفها الذائقة الإبداعية بعدّ، ولكن قد تفسد الذّوق العام؛

نظراً لسهولة التعامل معها إلكترونياً لدى بعض التقنيين من غير الشُّعراء والمتطفلين، فيقومون بالإضافة المشوّهة .

الشُّعر تختلف طبيعته عن أي كتابة أخرى، فهو يقوم على لغةٍ لا تؤدّي إلى معرفة بقدر ما تؤدّي إلى الإدهاش والإمتاع، وإنّ أيّ محاولة للعبث في إعادة القصيدة عبث في ذاتيّة المبدع، وأيّ حذفٍ منها سيقتل فيها الإدهاش المتولّد من تفاعل النّص مع لغته وصوره، كما سيضيّع معها ملامحها، وهويّتها، وملكيتها الفرديّة .

إنّ عمليّة التفاعل الإلكتروني المفتوحة تُفقد القصيدة اللّعبة الشّعريّة، فتطغى عليها اللّعبة الإلكترونيّة، وتدخل عناصر غير شعريّة عليها .

وتطلّ الأحكام معلّقة إلى أن تأخذ تجربة المزج بين القصيدة والتكنولوجيا مدى أوسع .